ردٌّ على التعريض الواضح

وردت علينا الرسالة الآتية: لولا اني لا ارى تنزيل صاحب هجرة السلالة الاورية منزلة مَنْ لا يهتمّ بمرامهِ ولا يلتفت الى كلامهِ لاغفلت مُدَّعاهُ واهملت مقتضاهُ ولولا ان تكون غاية العلم وآية الحلم وضوح الاحتجاج واجتناب اللجاج لما عدمت للتعريض مقالاً وللمقال مجالاً ولولا الاجماع على أنَّ مَنْ ألَّف بين كلمتين فقد عرض علة بل عقلة للناس لما اسفت لقولهِ ان تعريضاتي كانت عن غير عمدٍ حتى لم يخطر لي انهُ شعر من نفسهِ ان ردودهُ التي تعمَّدها جاءت غير مرضية فعدل الى ما رآهُ اقرب الى الاصابة ذلك فضلاً عمَّا في جعلهِ سكوتهُ قولاً وقوله سكوتًا الذي لم ازد عند قراءتهِ على ان قلت

فيا عجبي مَنْ بعدُ كلامهِ سكوتًا وقد عدَّ السكوت كلاما
اذا قلت ان اهديهِ مدحًا فاخشني بان يحسب المدح الصريح ملاما

وكيف كان فان مقالة اخلاق الدمشقيين وما اجرَت اليهِ اجوبتهُ بعدها من المناقشة فيها ممَّا سمَّاهُ اعتراضات لا طائل تحتها كل ذلك لم يكن في السرّ ولا جعل تحت ستر فما باله لا يرتضي بنظر قرَّاء المقتطف الى اقوال ساقط الحجة منا بعين الاستصغار أَوَلا يكفي ذلك جزاء للمخطئ وجائزةً للمصيب أَوَلم تحصر المناظرة في ثلاث قضايا احداها تتصل الى الدمشقيين والثانية سهوهُ عن موقع نهر الكنك والثالثة غفلته عن تعيين الزمان والمكان المناقش على عدد سكان سوريا فيهما كما في صفحة ٤٩ من مقتطف السنة الخامسة بعد دفعي عنهُ في صفحة ٣٠٠ من السنة الرابعة بان ذلك ليس عن جهلٍ منهُ بالجغرافية ورجوت له ان يكون من قبيل خطإ السهو ولحت بالتنبيه الى نبهه بهذا المقال وفي كل ذلك لم تكن الهجرة قضية ولا من مشتملات قضيةٍ من قضايا المناظرة ولم يعرض ذكرها اخذًا من كلامهِ الا لبيان الطريق الذي جعله خطًّا من بلاد العجم الى اوربا. ومنشأُ الانتقاد عبارتهُ هذه بحروفها: "لم ينشأ الفرع الاوربي في اوربا ولكنهُ هاجر اليها من ربى البلور ومن هندكوش متجاوزًا بخارا وشواطئ بحر الخزر العجمية وكابل حتى وصل الى نهر الكنك في الهند فنطبهُ وسار الى تلك القارَّة". ومهما يكن فيها فانها نصٌّ لا يحوَّل ولا يأوَّل بان كابل ونهر الكنك بل الهند جعلتها عندهُ بين بلاد العجم واوربا والظاهر من سكوتهِ المدة الطويلة انهُ لم يعد واجدًا مقالاً في شيءٍ من قضايا تلك المناظرة فجاءَ بدعوى الهجرة وهي كما لا يخفى غريبة كل الغرابة الا ان يكون احبَّ افتتاح مناظرة اخرى فاخطأَ باختيارهِ موضوعًا يتبادر منهُ الاستدلال على فراغ القلب والوقت معًا

كاتبهُ
ظاهر خير الله
الشويري